



صفحة تصدر بالتون مع الجمعية النفسية العراقية
iraqipa@hotmail.com

دراسة ميدانية

الصورة النمطية لخصائص العنف في الشخصية العراقية

فارس كمال نضلي



- الشخصية العراقية (غير عنيفة) من وجهة نظر طلبة الجامعة العراقيين
- للشباب العراقي حاجة لاشعورية لامتلاك صورة ايجابية عن هويته الاجتماعية
- خصائص العنف في الشخصية العراقية ذات طابع عرضي، ففي حين الخصائص المناقضة للعنف ذات طابع مستقر
- السلوك المستقبلي للجيل الحالي قد ينحو إلى التسامح ونبذ العنف والتمسك بالسلم الاجتماعي.

الشديدة التي تحملها، بينما يلاحظ أن الخصائص السبع المناقضة للعنف (مسألة/ مجاملة/ متسامحة/ محبة/ مستبشرة/ بناءة/ عطوفة) التي يعتد الطلبة بوجودها في الشخصية العراقية، تتصف بالاستقرار والثبات والديمومة، مما يعد مؤشراً إضافياً على ايجابية العلاقة النفسية بين الفرد والمجتمع في العراق. إن مجمل ما تقدم يقودنا إلى القول:

إن الوظيفة (الدفاعية) للصورة النمطية لدى طلبة الجامعة، قد تكاملت مع محتواها (الادراكي)، في وحدة مفهومية، بلورت لديهم اتجاهًا إيجابياً نحو خصائص الشخصية الاجتماعية في بلادهم، بالرغم من كل التشويشات والأضرار التي لحقت بهذه الصورة، سواء في الأدبيات المروءة أو في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أو في وقائع الحياة اليومية خلال عقود من الحروب والعنف السياسي والاجتماعي. وكل ذلك يقدم مؤشرات ملموسة على ايجابية بعض العناصر التي تتكون منها العلاقة النفسية بين الشباب العراقي ومجتمعه في الوقت الحاضر، الأمر الذي يقود للاستنتاج بعدم إمكانية الجزم بصحة الافتراض الذي أشير إليه في مطلع الدراسة، والقائل بأن الجيل الحالي من الشباب العراقيين يؤمن (إن العنف وسيلة مطلوبة من أجل البقاء)، مادام قد اتضح من النتائج الحالية أن شريحة مهمة من هذا الجيل لا تقترض طغيان العنف في شخصيات الناس حولها، مما قد يجعل سلوكها المستقبلي ينحو إلى التسامح ونبذ العنف والتمسك بالسلم الاجتماعي.

ولذلك، تطالب الباحثين والمؤرخين والإعلاميين والكتاب ممن يتصدون لمخوضوعة الشخصية العراقية، بالتوقف عند نتائج الدراسة الحالية واستنتاجاتها، والتمنع بها، ومناقشتها بمضامين مؤلفاتهم، سعياً لتحاشي الوطئية في مراحل تاريخية معينة، مما يؤثر قوة البناء المعرفي لهذه التصورات، وقدرتها على مقاومة المعلومات الجديدة. ويلاحظ أن خصائص العنف الثلاث (متعصبة/ متوترة/ انفعالية) التي يعتقد طلبة الجامعة بوجودها في الشخصية العراقية، يغلب عليها الطابع الوقتي والعرضي بسبب الشحنة الانفعالية

وانفعالية)، وثلاث خصائص محايدة: (بين التطرف والاعتدال، وبين الرقة والقسوة، وبين الأناثية والايثار). أما بقية الخصائص السبع فكلمها نقبضة للعنف: (مسألة، ومجاملة، ومتسامحة، ومحبة، ومستبشرة، وبناءة، وعطوفة).

ويتوظيف المنظور (الدفاعي- المعرفي) في سيكولوجية الصورة النمطية لتفسير هذه النتائج، أمكن التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

- للشباب العراقي حاجة لاشعورية لامتلاك صورة ايجابية عن هويته الاجتماعية، ويديم تواصله معه، وهذه الصورة النمطية تعمل بوصفها (آلية دفاعية) وظيفتها تحريف بعض الوقائع، تخفف القلق الناتج من الصورة السلبية الشائعة عن عنفية الشخصية العراقية. وفي الوقت نفسه، يمكن النظر إلى هذه الصورة النمطية بوصفها (اعتقاداً) متحيزاً يحمله الشباب العراقي لمصلحة شخصيته الاجتماعية، هو امتداد لتصورات نمطية ايجابية حملتها أجيال سابقة من العراقيين عن هويتهم الوطنية في مراحل تاريخية معينة، مما يؤثر قوة البناء المعرفي لهذه التصورات، وقدرتها على مقاومة المعلومات الجديدة.
- يلاحظ أن خصائص العنف الثلاث (متعصبة/ متوترة/ انفعالية) التي يعتقد طلبة الجامعة بوجودها في الشخصية العراقية، يغلب عليها الطابع الوقتي والعرضي بسبب الشحنة الانفعالية

المتنشئة الاجتماعية السائدة، والتجارب الرئيسة المشتركة، ونمط الحياة المشترك بينهم). جرى اختبار تحقيق هدف الدراسة المتمثل (بقياس الصورة النمطية لخصائص العنف في الشخصية العراقية)، من وجهة نظر طلبة الجامعة، وتقويم دلالتها الإحصائية). جرى تصميم مقياس لهذا الغرض بطريقة (التمايز الدلالي) مستوفياً لجميع شروط القياس النفسي الموضوعي، يتألف من (13) بعداً لفهم العنف، جرى تطبيقه على عينة طبقية عشوائية مؤلفة من (103) فرداً من طلبة جامعة بغداد من الجنسين، من حملة البكالوريوس في تخصصات الصباحية بجميع مراحلها ومن الاختصاصات العلمية والانسانية، للعام الدراسي 2005-2006 م، أي ممن يتراوح متوسط أعمارهم بين (18) و (24) سنة.

نتائج واستنتاجات
أسفرت التحليلات الإحصائية عن نتيجتين رئيسيتين من بين سلسله من النتائج:

- 1- إن لطلبة الجامعة اعتقاداً بأن الشخصية العراقية (غير عنيفة) ذلك أن صورتهم النمطية عن هذه الشخصية تنحو (في مجملها) إلى تقليب الخصائص المناقضة للعنف.
- 2- أما عن الصور النمطية الفرعية فإن الشخصية العراقية من وجهة نظر هؤلاء الطلبة لها ثلاث خصائص عنيفة: (متعصبة، ومتوترة،

ونخبته دراسة ميدانية عبر السؤال الآتي: (ما طبيعة الصورة النمطية التي يحملها طلبة الجامعة العراقيون عن خصائص العنف في الشخصية العراقية؟). بعد اشتقافنا للتعريفات الأساسية الآتية:

- الصورة النمطية: (اعتقاد جامد، يكونه الفرد عن الخصائص الشخصية لأفراد جماعته أو جماعة أخرى من الناس، ويتم هذا الاعتقاد بعدم الدقة، وبمقاومة المعلومات الجديدة، ويجري تعميمه على شخصيات جميع أفراد الجماعة النمطية، من دون الالتفات إلى وجود فروق فردية بينهم، ويمكن لهذا الاعتقاد أن يعمل بوصفه آلية دفاعية تنتج عن حاجات لا شعورية غايتها تحقيق الحماية النفسية (للفرد).
- العنف: (ضغط نفسي أو لفظي أو بدني، ذو طابع فردي أو جماعي، يتسم بالقسوة والفظاظة، يصدر فعلياً أو رمزياً أو على شكل محاولة أو تهديد، مما يتسبب في إحداث أضرار ممتدية ومادية لدى طرفاً آخر فردي أو جماعي، نتيجة التكنيل النفسي أو البدني به، أو استغلاله، أو إخضاعه، أو التأثير في إرادته، أو تخويفه، أو انتهاك حقوقه الأساسية أو القانونية، أو تعويق نموه الإنساني الطبيعي).
- الشخصية العراقية: (تنظيم نفسي جوهرى، يمكن تعميمه على معظم أفراد المجتمع العراقي، يتألف من مجموعة من السمات والاتجاهات والقيم والخصائص النفسية التي نشأت وتطورت بتأثير أساليب

والثقافة السائدة، وحساسة المزاج والالتحاق مع هذه التصورات النمطية الشائعة عن عدوانية الشخصية العراقية، مع ما استجد خلال الحقبة التي أعقبت نيسان 2003 من ولادة أنماط إضافية من العنف في المجتمع العراقي، تمثلت بأعمال السلب والنهب والحرق للممتلكات العامة، وبتصاعد شديد في معدلات الجريمة المنظمة والعشوائية، وتفشي ظاهرة العنف السياسي بين أفراد الشعب العراقي، يمكن أن يرسخ لدى الفرد العراقي مرور الزمن صورة نمطية شديدة السلبية عن الشخصية الاجتماعية السائدة في مجتمعه، مما قد يدفعه إلى تبني هذه الصورة في سلوكه الشخصي؛ بمعنى أنه قد يتجه لممارسة العنف ضد الآخرين، ليس بتأثير دوافع عدوانية متأصلة أو مكتسبة في شخصيته، إنما بفعل رغبته الوقائية بالتصدي للعنف الذي يفترض (نمطياً) وجوده في شخصيات الآخرين.

إن هذه المشكلة ذات الأبعاد المهددة لتماسك المجتمع وتطوره، يمكن أن تتضح بشكل خاص في شخصيات الشباب، بسبب معاديتهم لواقع الحروب والعنف الاجتماعي منذ ولادتهم وحتى اليوم، إذ يوجد افتراض مفاده أن الجيل الحالي من الشباب العراقيين (تشكلت لديه صورة عن أن العالم عدواني وظالم، وأن العنف وسيلة مطلوبة من أجل البقاء).

ونفرض التحقق من مدى صواب أو خطأ هذا الافتراض، نشأت وتطورت بتأثير أساليب (ريتشارد توتمان) وزملاؤه بتطعيم متطوعين أصحاء بفيروسات (الحمى الأنفية) Rhino Viruses بعد أن قيموا أولاً للحالة النفسية لكل متطوع. وتبين أن للشخصية والتعرض سابقاً إلى ضغط نفسي علاقة مهمة باحتمال الإصابة لاحقاً بالزكام وشدته. فالأفراد ذوو الشخصية الانطوائية أصيبوا بزكام اشد حدة، وكذلك الذين مروا بأنواع معينة من الأحداث الحياتية المتعبة نفسياً. وجاءت أدلة إضافية على وجود صلة بين الضغط النفسي وأمراض البرد والزكام قبل سنوات قليلة من تجربة مماثلة. وتستحق هذه التجربة التوقف عندها بتفصيل لأنها توضح بعض النقاط العامة المهمة، قام (شيلدون كوهين) وزملاؤه بتجنيد (420) رجلاً وامرأة أصحاء، إذ استخدموا معهم تقنيات نفسية متعارفاً عليها لتقويم الحالة الذهنية ومستوى الضغط النفسي لدى كل واحد منهم. ولأحظ الباحثون على وجه التحديد، الأحداث الحياتية التي مر بها كل متطوع خلال العام السابق، ومدى تصور المتطوعين بأنهم عاجزون عن تحمل المطالب التي تفرضها الحياة، والحالة الانفعالية لكل فرد منهم. ثم عرض المتطوعون إلى جرعة قياسية من فيروسات الحمى الأنفية مكافئة لمستوى التعرض إلى الفيروسات الذي يمكن توقعه في الحياة الاعتيادية. وأعطيت لكل متطوع قطرات انف تتضمن واحداً من خمسة فيروسات قادرة على أن تسبب برداً من النوع المألوف. كانت نتائج هذه التجربة واضحة ومقنعة. فكلما كان الضغط النفسي الذي ذكر الفرد أنه تعرض إليه في السابق شديداً، كانت احتمالات إصابته بالزكام أكبر. كما تبين أن احتمالات إصابة الأفراد الذين لديهم أعلى درجات الضغط النفسي بفيروسات الحمى الأنفية يزيدت

في أذهان عامة الناس في المجتمع العراقي. وفيما يأتي نماذج موجزة من هذه الإسهامات، على سبيل المثال لا الحصر:

- تمتاز البيئة التي نشأت فيها حضارة وادي الرافدين بالعنف والشدة من ناحية تبدلات موسمها وطغيان أنهارها، مما جعلها تمتاز بالحدة والتوتر باقراً/ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة).
- مشكلة الكبت مشكلة عويصة يعاني منها الفرد العراقي، ومنها كبتة لدافع القوة بسبب سيادة الاستعبد في العراق مئات السنين. فينشأ الطفل العراقي وقد نمت فيه شخصيتان: شخصية مؤدبة خاضعة، وشخصية ثائرة معتدية. كما أن انتشار القيم البدوية في المجتمع العراقي، أدى بالفرد العراقي إلى أن يصبح شديد التعبد للقوة كثير التباهي (على الورد/ شخصية الفرد العراقي).
- العراقيون أكثر الشعوب قسوة في ممارسة العنف، إذ ترسب العنف في لاشعورهم الجمعي: (قاسم حسين صالح/ العنف في المجتمع العراقي).

وقد يكون من النادر أن يذكر العراق وأهل العراق في حديث، من دون أن تذكر ظاهرة العنف الديموية الصيقة بهذا الشعب. والغريب أن العراقيين لم يجدوا في وصفهم بالعنف والقسوة والدموية أي غضاضة أو منقصة أو إخراج: (باقر ياسين/ تاريخ العنف الدموي في العراق).

وتصف سيكولوجية المجتمع العراقي بأنها ما زالت عنيفة الروح والسلوك، دموية البطل، منظرية الانقسام، عالية الأنا، شديدة الفرور، عظيمة

هناك اعتقاداً متداولاً بين الأفراد، مضمونه: (إن القسوة والانتقام والعدوانية والتطرف والانانية والتعصب، هي خصائص سائدة في سلوكنا نحن العراقيين). ويعبدا عن مدى موضوعية هذا الاعتقاد من عدمها، فإنه اتخذ من الناحية الإدراكية شكل صورة نمطية في أذهان أفراد ينتمون إلى فئات متنوعة في مستوياتها الثقافية والاجتماعية، إلا والاقتصادية في العراق، وأصبحت (أي هذه الصورة) تعبر عن مضمونها النفسي من خلال عدد غير محدود من الألفاظ اليومية المتداولة، والتي تشترك جميعاً في توصيف الشخصية العراقية بخصائص تنتمي إلى مفهوم (العنف).

وإذا كانت الاستدلالات النمطية تشتق في العادة من مصدرين رئيسيين هما: خبرات الفرد الخاصة، والمعلومات التي تصله من الآخرين، فيمكن الافتراض إذن أن جزءاً مهماً من الصورة النمطية لخصائص العنف في الشخصية العراقية، قد نتج عن مصدر أساسي يومي للمعلومات هو وسائل الإعلام، من تلفاز ومذياع وصحافة إلكترونية وتقليدية، فضلاً عن مصدر لا يقل عنه أهمية وتأثيراً هو آراء وتحليلات المفكرين والباحثين والمؤرخين والكتاب العراقيين أنفسهم، إذ تعج الأدبيات الأثرية والتاريخية والسوسولوجية والنفسية المتخصصة بهذا الشأن، بوقائع عيانية واستنتاجات فكرية، أسهمت خلال السنوات الخمسين الماضية (بصرف النظر عن مدى نجاحها أو فشلها في استقرار الحقائق الموضوعية في تعزيز هذا الاعتقاد الجامد

للشباب العراقي حاجة لاشعورية لامتلاك صورة ايجابية عن هويته الاجتماعية

خصائص العنف في الشخصية العراقية ذات طابع عرضي، ففي حين الخصائص المناقضة للعنف ذات طابع مستقر

السلوك المستقبلي للجيل الحالي قد ينحو إلى التسامح ونبذ العنف والتمسك بالسلم الاجتماعي.

وقد أسهمت الحضارة الغربية جزئياً في تشكيل بعض هذه الاعتقادات الجامدة لدى أبناء الشعوب النامية عن أنفسهم، إذ اتجه بعض العلماء الغربيين لإبراز الصفات الدموية العدوانية في بعض المجتمعات المتخلفة التي احتكوا بها ولاظوها. وقد مالوا انطلاقاً من تحيزات وأحكام مسبقة إلى تعميم هذه الصفة على سكان تلك المجتمعات، حتى وصلوا حد الزعم بأنها خاصية أنثروبولوجية عند الأقال تحيزاً منهم، وبأنها خاصة إحيائية عند الأشد تحيزاً منهم، غافلين بذلك عن ربط العدوانية ببنيية المجتمع والشرط الوجودي للإنسان فيه.

ولا يقع المجتمع العراقي خارج تأثيرات هذا الإطار، إذ تشير الملاحظات اليومية إلى أن

هل الزكام نتاج للعواطف والأفكار؟!!

سنة محمد حيدرة
طوال عقود كان يُعتقد على نطاق واسع أن الضغط النفسي يجعلنا أكثر استعداداً للإصابة بأمراض تنفسية خفيفة مثل الزكام والانفلونزا. وقد تأكد هذا تجريبياً الآن.

ففي إحدى الدراسات، طلب باحثون من زوجات وأزواجهن أن يملسوا استبياناً كل يوم على امتداد ثلاثة اشهر، يسجلون فيه المتاعب النفسية



اصدارات نفسية

التعليم وصناعة القهر

المؤلف: د. طلعت عبد الحميد
هذا الكتاب يبحث العنف الثقافي والقهر اللذين تمارسهما الايديولوجية على الطلبة من ذوي الاصول الطبقية الدنيا، ومدى اتباع اسلوب الحوار داخل المدرسة، ومدى الاختلاف بين المدارس الحكومية والمدارس الخاصة في استخدام الاساليب التي تتسم بالقهر. كما يناقش مدى التمثيل النسبي للشرائح الطبقية في المدرسة. وينطق بمثل هذا الكتاب من قول هيجل: (من الأفضل ان نخطأ في الحرية على ان نصيب في القيود).

مدخل الى علم النفس التجريبي

المؤلف: د. كمال بكداش
يتوجه هذا الكتاب الى طلبة علم النفس بعرض موجز لاسس وخطوات المنهج التجريبي في علم النفس، وخططه العامة، وتطبيقاته العملية، ولايز الطرائق التجريبية المستخدمة في دراسة الوظائف الذهنية الاساسية: الادراك الحسي، والتعلم، والذاكرة، والتفكير.

بناء القدرات الدماغية

المؤلفات: آرثر وينر - روث وينر
ت: كمال قطاوي - مروان قطاوي
هذا الكتاب يعلمنا حركة المواد والتغيرات الكيميائية في الدماغ، والتفاعل الهائل بين عمل الدماغ والعضلات والاعصاب، وتنفس الدماغ، وآلية الذاكرة. كما يبحث فيما بين الموسيقى والعقل، وفي الابداع. وخلال ذلك يرشدنا الى الطرائق والتمارين اللازمة من أجل تعزيز القدرة على استعمال المعلومات ومعالجتها. وكيفية تحسين وصول الوكسجين الى الدماغ بكميات كبيرة، وتقوية الذكاء والقدرة على التعلم مدى الحياة.

